As-Sayeh 16. Jan. 1919 p. 31

pp. 31-32

فتيات المهجر

— بقلم محاسن مفراج —

وضعت بفكري من عهد قريب كتابة شيء عن الفتيات السوريات المهاجرات وأمسكت قلمي عن الكتابة لانني رايت صعوبة في رسم صورة حقيقية تمثلهن دون أن اخطىء الغرض الذي اتوخاه في الكتابة عنهن لان غرضي هو تعريف العالم السوري — في الوطن أو المهجر — بفتياته المهاجرات وازاحة اللثام ولو قليلاً عن حقيقة ما زالت ملتبسة مبهمة . وهذه الحقيقة هي معرفة نزعات نفس المرأة السورية ودرجة رقيها .

وقد قلت في نفسي كيف يمكنني معرفة هذه الحقيقة ؟ واذا توفقت الى معرفتها هل أقولها ؟ واذا قلتها هل يمكنني الا أن أنتقد أو أمدح ؟

فكرت مليّاً ثم توكلت على الله وعدت الى الموضوع . انما عدت اليه لا لكي أرسم من مخيلتي صورة تمثلهن . بل لكي أري العالم السوري صورة بعض فتياته المهاجرات اللائي رسمنها بأعمالهن ومظاهرهن وكتاباتهن . فآتي على ذكر آراء وأفكار وتنف كتابات وجمعيات نسائية يرى بها المطالع صورة نفوسهن ويستدل بواسطتها على درجة رقي المرأة المهاجرة .

ولا بد من الاشارة بأنني لا أعني بالمهاجرات لا اللواتي في أميركا فقط بل سوريات مصر ايضاً .

ابتدىء أولاً بذكر فقرات من رسالة وردتني من احدى الاديبات في مصر قالت —

« ذكرتني الايام المارة بالسنين المارة وما أسرع مرورها ! تمر وننساها وننسى ما عملناه فيها من جيد ومضر . وها نحن عائشون في سنة جديدة وبا لعظم ما يستطيع أن يعمله المرء فيها .

أود كثيراً أن تستيقظ المرأة السورية من خولها الفكري اثناء مرور ايام هذه السنة الجديدة وأن تنهض لتسعد وطنها وأمتها .

تسرني الروح العاملة في فلانة وحبذا يكثر عدد الامهات اللواتي يحببن وطنهن السوري ويربين أولادهن على محبته وتقديس اسمه والتضحية في سبيله .

ما اكثر النساء اللواتي لاغرض لهن سوى الوقوف امام المرآة ساعات طوالاً !!

أنا لا أنكر انني من اللواتي يعتقدن بأن للمرأة تأثيراً عظيماً على الرجل وخصوصاً اذا كانت جميلة . كل فتاة يجب أن تهتم بأن تجعل ملابسها مرتبة ونظيفة . وأن تكون مرتبة ونظيفة دائماً وليس عند استقبالها الزائرين فقط . أما البودره والحمره فانني أحتقر كل من تستعملها . لان جمال المرأة في أدبها وشخصيتها لا في زينتها .

كل يوم أشعر بظمأي الشديد الى التعلم والتقدم . أتستغربين قولي اننا جاهلات ؟ نعم فاننا جاهلات ولا يجب أن نضيع أصغر الفرص التي يمكننا بواسطتها أن نتعلم اكثر مما نعرفه . ان الاقرار بالجهل ليس عاراً . ومهما يتعلم الانسان يرَ فقره الحقيقي للعلم . ويرَ انه لا يعلم شيئاً . »

وكتبت لي أديبة في احدى الجمهوريات البعيدة حين أخبرتها عن حركة التطوع في الحملة الشرقية ، قالت —

« ليتني معكم وبقربكم لارى بعيني تحمس السوريين وغيرتهم على الوطن لتبتهج نفسي . بحقك قولي لي هل أحلى وأعظم من هذه الحركة في تاريخنا السوري ؟

لقد جعلتني هذه الحرب أعتقد بأن الحروب مساعدة على ولادة الامم ثانية كما ساعدت هذه الحرب على ولادة الامة السورية . فقد كانت سبباً لاثارة المسيحيين والمسلمين على الاتراك . هذه حسنة هذه الحرب نحو السوريين وهي مفتاح لكل الحسنات الضرورية لحياة أمتنا العزيزة . »

وفتاة أديبة في هذه الولايات كتبت لي في موضوع عن الفرق بين الرجل والمرأة بمسائل الزواج وقالت —

« فلان وفلانة تزوجا ولم يكونا سعيدين في حياتهما الزوجية ، فانفصلا . الرجل تزوج ثانية وأما المرأة فلم تفعل — ألا يحيرك أمر المرأة يا صديقتي ؟ متى قطفت ثمرة وذاقت طعمها ترتد عنها قانعة بذاتها . بينما الرجل يأكل ويأكل ويأكل دون ارتواء ويثني ويثلث اذا أمكنه ومن يعلم ويرى هذا الفرق بينها وبينه ؟ ومن يدرسه ليكشف سره للملأ ؟ ؟ »

وزرت مرة احدى الاديبات في نيويورك واثناء الحديث أتينا على ذكر المرأة المهاجرة ومركزها الادبي وأعمالها الخيرية ، فقالت —

« أتدرين أية فئة من الناس أحوج الى الاحسان والاهتمام ؟ فقلت هات ما تدرينه انت لان في فمك كلاماً . فقالت —

« هذه الفئة توجد غالباً في المدن الكبرى . وهنا في نيويورك توجد بكثرة . وهي من الفتيات السوريات — من بنات جنسنا . من بنات لغتنا ووطننا — فتيات لا تسمح دوائر الاشغال بدخولهن الى ادارتها . تسكر أبواب الارتزاق بوجوههن . تمنع عليهن الاشتغال بعرق الجبين . هؤلاء هن الفتيات الساقطات ! . . ولا يعلم كيف كان سقوطهن لكن لنترك البحث في كيف سقطن ونتظر في نقطة أهم وهي : هل جربنا مشاعر الفتيات الحساسات أن نشفق على هؤلاء الفتيات ونساعد من تريد منهن الرجوع الى السلوك الحسن ؟

ان التفكير بأمرهن يحزن روحي . أفتكر في طرق معيشتهن وكيف يقضين حياتهن يائسات ، متمردات ، حائرات . فاحزن . أفتكر في كيف تبيع الواحدة عفافها لقاء الريال فأتألم وماذا تظنين يحدو بهن الى مثل هذا العمل ؟ فقلت — الظلمة المالئة نفوسهن ! أجابت : صدقت — الظلمة في نفوسهن . لكننا قد نقوى على تبديد هذه الظلمة اذا أحسنا معاملتهن وحببنا اليهن وسائل العيش والتسلية بطرق متنوعة منزهة عن العيب والتهتك . . فقلت لها مهلاً ! ماذا تعنين بهذا كله ؟ أجابت أصغي . يجب أن نفتكر بهؤلاء التعيسات ونعطين شيئاً من وقتنا — حبذا لو تألفت لجنة للنظر بأمرهن وتكون من الفتيات النشيطات المهذبات ذوات التأثير والغيرة على الجنس فتنشىء ادارة خاصة تستقبل فيها كل فتاة تطلب مساعدة فتهتم بأمرها وتسعى لدى أرباب الاعمال ليساعدوها بأن يسمحوا بدخولها الى محلاتهم ويسهلوا لها سبل الارتزاق . ومن يدري ؟ فقد ترتد كثيرات بهذه الواسطة عن طرق الغواية وتستنير نفوسهن » .

ان في معرفة الجمعيات النسائية والاطلاع على غاياتها المتنوعة لدليلاً على أي مظهر من مظاهر الاجتماع تميل اليه المرأة السورية . وما هي المطامع التي

تشغل عقلها وفكرها وقلبها . هل تميل الى الاداب والعلوم ؟ أتحب وطنها ؟ أتحب مساعدة الفقير ؟ أتطمح بالسياسة ؟؟

وهذا جدول الجمعيات النسائية في المهجر — جمعية الفتيات الحديثة في نيويورك . غايتها وطنية تسعى للاحتفاظ بلغة الوطن ، اللغة العربية . وتعليمها للاولاد السوريين المولودين في المهاجر لكي لا ينسوا لغة اباءهم ولغة وطنهم .

جمعية النهضة النسائية في مصر . مؤلفة من مسيحيات ومسلمات . غايتها تنبيه المرأة الى تغذية نفسها وعقلها بمطالعة الكتب المفيدة وسماع الخطب وحثها على توسيع معارفها وعدم الانصراف الى اللهو والتبرج .

جمعية السيدات الخيرية في نيويورك . غايتها الاهتمام بأمر المحتاجين من العائلات المهاجرة جديداً وتفقد المرضى المعوزين .

جمعية فتاة سوريا . مؤلفة من نخبة الفتيات المهذبات . غايتها وطنية وتسعى لتأييد الجامعة القومية التي تتلاشى أمامها جامعة الدين . مع ترقية شؤون المرأة السورية ادبياً واجتماعياً .

جمعية الاتحاد السورية للسيدات في مصر . غايتها عمل الاحسان .

جمعية حاملات الطيب في نيويورك غايتها طائفية . تسعى لتجديد بناء الكنيسة الارثوذكسية .

جمعية اليد البيضاء في بوس أيرس . غايتها خيرية .

جمعية السيدات الارثوذكسية في متريال كندا . غايتها طائفية .

جمعية السيدات الخيرية الارثوذكسية في مصر . غايتها خيرية .

جمعية السيدات الخيرية في البني جورجيا . غايتها خيرية .

جمعية الصليب الاحمر السورية الاميركية في نيويورك . غايتها مساعدة منكوبي الحرب .

جمعية يد المساعدة في مصر . غايتها خيرية .

جمعية الصليب الاحمر السورية الاميركية في باترسن نيو جرزي . غايتها مساعدة منكوبي الحرب .

قلت سابقاً ان بالاطلاع على غايات الجمعيات لدليلاً على أميال المرأة السورية والمطامع التي تشغل عقلها — ولكن اذا لم تبرز هذه المطامع والاميال الى حيز العمل فكيف للناس أن يشعروا ويدروا بها ؟ وفئة من المهاجرات على ما يظهر لنا من جدول الجمعيات يهمهن خدمة وطنهن ويهمهن احياء اللغة العربية في نفوس الصغار لكي لا ينسوا لغة أباءهم . ويهمهن تحسين حالة بنات جنسهن الادبية والاجتماعية . وقد ألفن جمعيات لكي يرتبطن فيتعاونن على ابراز أمانيهن ولكن قلة عددهن وتفرقهن في اماكن بعيدة حال دون امنيتهن فكان صوتهن ضعيفاً از آء صوت الجماعة . لذلك لم يسمعه الشعب السوري ولا درى باميالهن ومساعيهن . انما هذا لما يدلنا على الخير . يدلنا على ان المرأة السورية هي الان في بدء نهضتها الفكرية وانها أحست من عهد ليس ببعيد بفقرها الادبي وأدركت انها بواسطة ذكائها الفطري سوف تتغلب على الخمول الفكري وتحسن حالتها رويداً رويداً .

يا بنت قومي !

— لنعمه حاج —

انا ان بُت عن بلادي قصيا ... وغدا القلب في البعاد شجيا
ودعوت المنى فعزّت منالاً ... وجنى الدهر بالحطوب عليا
وكساني الاسى رداء هزال ... وقضى الحظ أن أعيش شقيا
وتطلبتُ في الشقاء معيناً ... فتعالي يا بنت قومي اليّا
واكشفي ظلمة الهموم بوجهٍ ... لك ، صلت الجبين ، طلق المحيا
وابعثي نظرة الى القلب تحيي ... فيه ميت الرجاء والعزم فيّا
وتزين البؤوس عني وتجري ... في الشرايين سحرها البابليا
وابسمي يبسم الزمان فيصفو ... واعطفي تعذب الحياة لديا
وأريني تري معاني التصافي ... خُلقاً راضياً ، وقلباً وفيا
وأعيني على البلاء فألقى ... بكِ عوناً على الزمان قويا
وبكِ العيش يستطاب واني ... لا أرى في سواكِ عيشاً هنيا
انتِ ذات الحياء واللطف والظرف لبستِ العفاف ثوباً نقيا
انتِ للقلب غبطة وعزاء ... وضياء ان بات ليلي دجيا
ومُنى النفس تُذهبين عناها ... وتعيدين حلمها الذهبيا

* * *

واذهبي بالسلام يا بنت كولمب وغيبي عن العيون قصيا
انت لا تفهمين روحي ولا تدرين قلبي ، فلا تفيدين شيئا

من كلام العلي بن ابي طالب

من حلم ساد ، ومن ساد استفاد . ومن استحيا حرم ، ومن هاب خاب . ومن طلب الرئاسة ، صبر على السياسة . ومن أبصر عيب نفسه ، عمي عن عيب غيره . ومن سل سيف البغي ، قتل به . ومن احتفر لاخيه بئراً وقع فيها . ومن نسي زلته ، استعظم زلة غيره . ومن هتك حجاب غيره ، انهتكت عورات بيته . ومن كابر في الامور عطب . ومن اقتحم اللج غرق . ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل . ومن تجبر على الناس ذل . ومن تعمق في العمل مل . ومن صاحب الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر . ومن دخل مداخل السوء اتهم . ومن حسن خلقه ، سهلت طرقه . ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه . ومن خشي الله فاز . ومن استقاد الجهل ، ترك طريق العدل . ومن عرف اجله ، قصر أمله .